

**الحقيبة التدريبية (9)**

**ضمن برنامج رخصة قيادة حلقة قرآنية**

قواعد تدبر القرآن

**من كتاب القواعد الحسان لابن سعدي**

أعـدَّها :

طالب بن عُمر بن حـيدرة

من مقدمة العلامة السعدي

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، أما بعد:

**أهمية علم التفسير:**

علم التفسير أجلّ العلوم على الإطلاق، وأفضلها، وأوجبها، وأحبها إلى الله، لأن:

1. الله أمر بتدبر كتابه، والتفكر في معانيه، والاهتداء بآياته.
2. وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب، ووعدهم أسنى المواهب.
3. وبه يتحقق للعبد حياة زاهرة بالهدى والخير والرحمة، ويهيئ الله له أطيب الحياة، والباقيات الصالحات .

**وصف هذه القواعد، وأهميتها:**

هي أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم:

1. جليلة المقدار، عظيمة النفع.
2. تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والاهتداء به.
3. وتفتح للعبد من طرق التفسير، ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة .
4. وقد جاءت على وجه الإيجاز الذي يحصل به المقصود؛ من خلال توضيح المقصود بالقاعدة، والتدرب على عدّة أمثلة منها توضحها .

**أقسام ما ذكره المؤلف من القواعد:**

تنوعت هذه القواعد الواحدة والسبعون إلى عدّة أقسام؛ فمنها قواعد تفسيرية، ومنها قواعد أصولية، وأخرى تربوية، ورابعة تدبرية، وهي التي سنخصها بالجمع والتوضيح، والله ولي التوفيق .

* وسأسرد هذه القواعد موردًا ما ذكره الشيخ لها؛ من شرحٍ وأمثلة على جهة التهذيب والاختصار .

**القاعدة الأولى: في كيفية تلقي التفسير:**

على الناس أن يتلقوا معنى كلام الله؛ كما تلقاه الصحابة ، فإنهم كانوا إذا قرأوا عشر آيات، أو أقل أو أكثر، لم يتجاوزوها حتى يعرفوا، ويحققوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل:

1. يعلمون أنه خطاب من عالم الغيب والشهادة موجه إليهم، ومطالبون بمعرفة معانيه، والعمل بما يقتضيه، وأن فيه تبيان كل شيء، وأنه كفيل بجميع المصالح مبين لها، حاث عليها، زاجر عن المضار كلها.
2. ويؤمنون بما احتوت عليه من العقائد والأخبار.
3. وينقادون لأوامرها ونواهيها.
4. ويتخلقون بأخلاقه وآدابه.
5. ويطبقونها على جميع ما يشهدون من الحوادث والوقائع الموجودة بهم وبغيرهم.
6. **ويحاسبون** أنفسهم:
7. هل هم قائمون بها، أو مخلون بحقوقها ومطلوبها؟.
8. وكيف الطريق إلى الثبات على الأمور النافعة، وتدارك ما نقص منها؟ .
9. وكيف التخلص من الأمور الضارة؟ .

فمن سلك هذا الطريق الذي سلكوه، وجَدّ واجتهد في تدبر كلام الله:

1. انفتح له الباب الأعظم في علم التفسير.
2. وقويت معرفته واستنارت بصيرته.
3. واستغنى بهذه الطريقة عن كثرة التكلفات، وعن البحوث الخارجية، وخصوصاً:
   * 1. إذا كان قد أخذ من علوم العربية جانباً قوياً.
     2. وكان له إلمام واهتمام بسيرة النبي وأحواله مع أوليائه وأعدائه، فإن ذلك أكبر عون على هذا المطلب.

**القاعدة الثانية: معرفة طرق القرآن في عرض العلوم النافعة:**

قد أمر الله تعالى بالدعاء إلى سبيله بالتي هي أحسن، أيّ بأقرب طريق موصل للمقصود، محصل للمطلوب، ولا شك أن الطرق التي سلكها الله في خطاب عباده المؤمنين هي أحسنها وأقربها .

فمن ذلك:

1. طريقة القرآن في تقرير التوحيد، ونفي ضده:
2. يخبر أن جميع الرسل إنما أرسلت تدعو قومها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس ليعبدوه.
3. ويدعو العباد إلى ما تقرر في فطرهم وعقولهم من أن الله المنفرد بالخلق والتدبير والمنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي يستحق العبادة وحده.
4. ويدعوهم أيضاً إلى هذا الأصل بما يَتَمَدَّح به، ويُثني على نفسه الكريمة، من تفرده بصفات العظمة والمجد، والجلال والكمال، وأن من له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك.
5. وتارة يقرر هذا بذكر محاسن التوحيد، وبذكر مساوئ الشرك وقبحه.
6. وتارة يدعو إليه بذكر ما رتب عليه من الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، والحياة الطيبة في الدور الثلاث، وما رتب على ضده من العقوبات العاجلة والآجلة، وكيف كانت عواقب المشركين أسوأ العواقب.
7. طريقة القرآن في أمر المؤمنين، وخطابهم بالأحكام الشرعية:
8. فأكثر ما يدعوهم إلى الخير، وينهاهم عن الشر بالوصف الذي منّ عليهم به وهو الإيمان، فيقول: يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا واتركوا كذا؛ للحث على القيام بلوازم الإيمان، وشروطه ومكملاته، وليشكروا هذه النعمة، التي هي أجل النعم.
9. وتارة بذكر آثار الخير، وعواقبه الحميدة العاجلة والآجلة، وبذكر آثار الشر، وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة .
10. وتارة يدعوهم إلى ذلك بذكر نعمه المتنوعة، وآلائه الجزيلة، وإن النعم تقتضي فهم القيام بشكرها، وشكرها هو القيام بحقوق الإيمان.
11. وتارة يدعوهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب، ويذكر ما أعد الله للمؤمنين الطائعين من الثواب، وما للعصاة من العقاب .
12. وتارة يدعوهم إلى ذلك بذكر ما له من الأسماء الحسنى، وما له من الحق العظيم على عباده، وأن حقه عليهم أن يقوموا بعبوديته ظاهراً وباطناً، ويتعبدوا له وحده.
13. وتارة يدعوهم إلى ذلك، لأجل أن يتخذوه وحده ولياً وملجأ، وملاذًا ومَعاذًا، ومفزعًا إليه في الأمور كلها، وينيبوا إليه في كل حال.
14. وتارة يحثهم على ذلك، ويحذرهم من التشبه بأهل الغفلة والإعراض، والأديان المبدلة؛ لئلا يلحقهم من اللوم ما لحق أولئك الأقوام؛ كقوله { وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } .

**القاعدة الثالثة: معرفة قواعد العموم:**

والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتدبر لكتابه، فإذا **تدبرنا** الألفاظ العامة، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلأيّ شيء نخرج بعض هذه المعاني، مع دخول ما هو مثلها ونظيرها فيها؟، فإذا أمر بشيء نظرت إلى معناه، وما يدخل فيه وما لا يدخل؛ ولهذا كانت معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله أصلَ كل الخير والفلاح، والجهل بذلك أصل كل الشر والخسران .

ومن قواعد العموم:

* **الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه.**

1. فمثلُ قوله تعالى:{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ـ إلى قوله تعالى ـ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً } [الأحزاب: 35] يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله من معاني الإسلام والإيمان والقنوت والصدق إلى آخرها، وأن بكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص، وبعدمها يفقد.
2. وأعظم ما تعتبر به هذه القاعدة: في الأسماء الحسنى، وهي من أجل علوم القرآن بل هي المقصد الأول للقرآن، فمثلاً يخبر الله عن نفسه:
3. أنه العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي أحاط علمه بالبواطن والظواهر، والخفيات والجليات، والواجبات والمستحيلات، والجائزات، والأمور السابقة واللاحقة والعالم العلوي والسفلي، والكليات والجزئيات، وما يعلم الخلق وما لا يعلمون، {ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء } [البقرة: 255].
4. وأنه الحكيم الذي له الحكمة التامة الشاملة لجميع ما قضاه وقدره وخلقه.
5. وأنه الرحمن الرحيم الذي له جميع معاني الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، ولم يخل مخلوق من إحسانه وبره طرفة عين، تبلغ رحمته حيث يبلغ علمه {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً} [غافر: 7].

وهكذا بقية الأسماء الحسنى، اعتبرْها بهذه القاعدة الجليلة ينفتح لك باب عظيم من أبواب معرفة الله، بل أصل معرفة الله تعالى معرفة ما تحتوي عليه أسماؤه الحسنى، وتقتضيه من المعاني العظيمة، **بحسب ما يقدر عليه العبد**، وإلا فلن يبلغ علم أحد من الخلق بذلك، ولن يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده .

1. ومن ذلك قوله تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة: 2]، يشمل جميع أنواع البر والخير، وتشمل التقوى جميع ما يجب اتقاؤه من أنواع المَخُوفات والمعاصي والمحرمات، والإثم: اسم جامع لكل ما يؤثم، ويوقع في المعصية، كما أن العدوان: اسم جامع يدخل فيه جميع أنواع التعدي على الناس في الدماء والأموال والأعراض، والتعدي على مجموع الأمة، وعلى الحكومات والتعدي على حدود الله .

* **إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم .**

1. كقوله تعالى: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً }؛ فإنه نهى عن الشرك به في النيات، والأقوال والأفعال، وعن الشرك الأكبر، والأصغر والخفي، والجلي.
2. وقوله في وصف يوم القيامة: { يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً }، يعم كل نفس، وأنها لا تملك شيئاً من الأشياء، لأيّ نفس أخرى، مهما كانت الصلة، لا إيصال شيء من المنافع، ولا دفع شيء من المضار .
3. وقوله { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل: 53] يشمل كل خير في العبد ويصيب العبد، وكل نعمة فيها حصول محبوب، أو دفع مكروه، فإن الله هو المنفرد بذلك وحده .

* **أن المفرد المضاف يفيد العموم؛ كما يفيد ذلك اسم الجمع:**

1. فقوله تعالى: { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }؛ فإنها تشمل النعم الدينية والدنيوية.
2. وقوله: { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }؛ فإنها تعم الصلوات كلها، والأنساك كلها، وجميع ما العبد فيه وعليه في حياته ومماته.
3. قوله تعالى لما ذكر الأنبياء: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }؛ فأمره الله أن يقتدي بجميع ما عليه المرسلون من الهدى، الذي هو العلوم النافعة والأخلاق الزاكية، والأعمال الصالحة، والهدى المستقيم .

* **حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له:**

ولذلك أمثلة كثيرة جداً:

1. منها: أنه قال في عدة آيات {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، فيدل ذلك على أن المراد: لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه وكل ما علمكموه، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة، ويدخل في ذلك ما كان سياق الكلام فيه وهو فرد من أفراد هذا المعنى العام .
2. وكذلك قوله: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى }، يدخل في ذلك كله الإحسان في عبادة الخالق بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان إلى المخلوقين بجميع وجوه الإحسان من قول وفعل وجاه، وعلم ومال وغيرها .
3. وكذلك قوله تعالى: { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } فحذف المتكاثَر به؛ ليعم جميع ما يقصد الناس فيه المكاثرة: من الرياسات والأموال والجاه والضيعات والأولاد، وغيرها مما تتعلق به أغراض النفوس، فيلهيها ذلك عن طاعة الله .

**القاعدة الرابعة: مراعاة دلالة التضمن والمطابقة والالتزام:**

كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة، وما دخل في ضمنها، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني، وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرج في اللفظ على ذكره، وهذه القاعدة: من أجل قواعد التفسير وأنفعها، وتستدعي قوة **فكر**، وحسن تدبر، وصحة قصد .

والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع:

1. أن تفهم ما دلّ عليه اللفظ من المعاني.
2. فإذا فهمتها فهماً جيداً، **ففكر** في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها .
3. وكذلك **فكر** فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، وينبني عليها.

وأكثر من هذا التفكير **وداوم عليه، حتى تصير لك ملكة جيدة** في الغوص على المعاني الدقيقة؛ فإن القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق، ذلك كله حق ولابد .

فمن وفق لهذه الطريقة وأعطاه الله توفيقاً ونوراً، انفتحت له في القرآن العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية .

ولنمثل لهذا الأصل أمثلة توضحه:

1. منها: في أسماء الله الحسنى [ الرحمن الرحيم ] فإنها تدل بلفظها على وصفه بالرحمة، وسعة رحمته، ويدل على كمال حياته، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، ونفوذ مشيئته، وكمال حكمته، لتوقف الرحمة على ذلك كله، ثم استدللت بسعة رحمته على أن شرعه نور ورحمة؛ ولهذا يعلل الله تعالى كثيراً من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه؛ لأنها من مقتضاها وأثرها .
2. ومن ذلك سؤال عباد الرحمن ربهم أن يجعلهم للمتقين إمامًا، يقتضي سؤالهم اللهَ جميع ما تتم به الإمامة في الدين، من علوم ومعارف جليلة وأعمال صالحة وأخلاق فاضلة؛ لأن سؤال العبد لربه شيئًا سؤال له، ولما لا يتم إلا به، كما إذا سأل العبد اللهَ الجنة، واستعاذ به من النار، فإنه يقتضي سؤاله كل ما يقرب إلى هذه، ويبعِّد من هذه .
3. ومن ذلك: أن القرآن يستدل بالأقوال والأفعال على ما صدرت عنه من الأخلاق والصفات:
4. فمن ذلك قوله تعالى: { وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ }، يدل على حسن الخلق، ونزاهة النفس عن الأخلاق الرذيلة، وعلى سعة عقولهم، وقوة حملهم واحتمالهم.
5. ومثل قوله: { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}، يدل على ذلك حسن إدارة المُلْك، وكمال السياسة وحسن النظام.
6. وكذلك قوله عن أعداء رسول الله: { وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا }، يدل على ظنونهم بالله، وأن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته.

وأمثلة هذا الأصل واضحة لكل صاحب **فكرة** حسنة.

**القاعدة الخامسة: حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد:**

1. وذلك كقوله: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ }، { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ}، فحذْف الجواب في هذه الآيات وشبهها أولى من ذِكْره، ليدل على عظمة ذلك المقام، وأنه لهوله وشدته وفظاعته لا يعبَّر عنه بلفظ، ولا يُدرك بالوصف.
2. { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ }؛ أيّ لما أقمتم على ما أنتم عليه من التفريط والغفلة واللهو .

**القاعدة السادسة: يختم الله الآيات بأسمائه الحسنى؛ ليدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم :**

وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم .

فتجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر:

1. قال تعالى: { فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }، فذكرُ إحاطة علمه بعد ذكر خلقه للأرض والسماوات يدل على إحاطة علمه بما فيها من العوالم العظيمة، وأنه حكيم حيث وضعها لعباده، وأحكم صنعها في أحسن خلق وأكمل نظام، وأن خلقه لها من أدلة علمه.
2. ولما ذكر الله النسخ أخبر عن كماله قدرته وتفرده بالملك، فقال { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وفي هذا رد على من أنكر النسخ كاليهود، وأن نسخه لما ينسخه من آثار قدرته وتمام ملكه، فإنه تعالى يتصرف في عباده، ويحكم بينهم بأحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، فلا حجر عليه في شيء من ذلك .
3. ولما ذكر عقوبة السارق قال في آخرها: {نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}؛ أيّ: عز وحكم فقطع يد السارق، وعز وحكم فعاقب المعتدي شرعاً وقدراً وجزاء .
4. ولما ذكر مواريث الورثة وقدرها قال: { فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً }؛ فكونه عليماً حكيماً يعلم ما لا يعلم العباد، ويضع الأشياء مواضعها، فاخضعوا لما قاله وفِعْله .
5. ولما ذكر في سورة الشعراء قصص الأنبياء مع أممهم، ختم كل قصة بقوله: {وَإِنَّ رَبَكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْرَحِيمُ}؛ فإن كل قصة تضمنت نجاة النبي وأتباعه، وذلك برحمة الله ولطفه، وتضمنت إهلاك المكذبين له، وذلك من آثار عزته .

فنتعبد لله تعالى بأسمائه الحسنى، فيفهم:

1. أولاً معنى ذلك الاسم الكريم.
2. ثم **يديم استحضاره** بقلبه، حتى يمتلئ قلبه منه:

* فالأسماء الدالة على العظمة والجلال والكبرياء تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله تعالى.
* والأسماء الدالة على الرحمة والفضل والإحسان تملأ القلب طمعاً في فضل الله ورجاءً لرَوْحِه ورحمته.
* والأسماء الدالة على الود والحب والكمال تملأ القلب محبة ووداً وتألهاً وإنابة لله تعالى.
* والأسماء الدالة على سعة علمه ولطيف خبره توجب للعبد مراقبة الله تعالى والحياء منه.

وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال، وأجل وصف يتصف به القلب وينصبغ به، **ولا يزال العبد يمرن نفسه عليها** حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية.

فنسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين، وأجود الجوادين.

**القاعدة السابعة: في مقاصد أمثلة القرآن:**

وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة؛ كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة، ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة؛ ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين.

وهذه الأمثال **إذا طبقت على مُمَثَّلاتها وضَّحتها**، وبينتها وبينت مراتبها من الخير والشر والكمال والنقصان:

1. فقد مثّل الله الوحي والعلم الذي أنزله على رسوله في عدة آيات بالغيث والمطر النازل من السماء، وقلوب الناس بالأراضي والأودية، وإن عمل الوحي والعلم في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأرض.
2. ومثّل الله الشرك والمشرك الذي اتخذ مع الله إلهاً يتعزز به، كالعنكبوت اتخذت بيتاً، وهو أوهن البيوت وأوهاها، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا إلى ضعفها؛ كذلك المشرك ما ازداد باتخاذه ولياً ونصيراً من دون الله إلا ضعفاً، لأن قلبه انقطع عن الله، ومن انقطع قلبه عن الله حلّه الضعف من كل وجه .
3. ومثَّل الله الأعمال بالبساتين، ووجه تشبيه الأعمال بالبساتين: أن البساتين تمدها المياه وطيب المحل وحسن الموقع، فكذلك الأعمال يمدها الوحي النازل من حياة القلوب الطيبة، وقد جمع العامل جميع شروط قبول العمل من الاجتهاد والإخلاص والمتابعة، فأثمر عملُه كل زوج بهيج .
4. وقد مثّل الله عمل الكافر بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء، فيأتيه وقد اشتد به الظمأ، وأنهكه الإعياء، فيجده سراباً .

**القاعدة الثامنة: في كيفية الاستدلال بخلق السماوات والأرض، وما فيهما على التوحيد والمطالب العالية:**

قد دعا الله عباده إلى التفكير في هذه المخلوقات في آيات كثيرة، وأثنى على المتفكرين فيها، فينبغي لنا أن نسلك هذا الطريق المنتج للمطلوب بأيسر وأوضح ما يكون، وحاصل ذلك على وجه الإجمال:

1. أننا إذا **تفكرنا** في هذا الكون العظيم، عرفنا أنه لم يوجد بغير موجد، ولا أوجد نفسه، فتيقنا أن الذي أوجده كامل القدرة عظيم السلطان واسع العلم.
2. وإذا نظرنا ما فيها من الإحكام والإتقان والإبداع عرفنا بذلك كمال حكمة الله، وحسن خلقه، وسعة علمه.
3. وإذا رأينا ما فيها من المنافع والمصالح الضرورية والكمالية التي لا تحصى، عرفنا بذلك أن الله واسع الرحمة، عظيم الفضل والبر والإحسان والجود والامتنان.
4. ونعرف بذلك كله أن مَنْ هذه أوصافه وهذا شأنه؛ هو الذي لا يستحق العبادة أحد إلا هو .

**القاعدة التاسعة: الكمال إنما يظهر إذا قُرن بضده:**

1. فإذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدين للكمال؛ فلما أراد الله إظهار شرف آدم على الملائكة بالعلم، وعلمه أسماء كل شيء، ثم امتحن الملائكة فعجزوا عن معرفتها، فحينئذ نبأهم آدم بها، فخضعوا لعلمه، وعرفوا فضله وشرفه.
2. ويقارب هذا: إنزاله الغيث على العباد، بعد أن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين، فيحصل من آثار نعمة الله والاستبشار بفضله، ما يملأ القلوب حمداً وشكراً وثناء على الباري تعالى.
3. وكذلك يذكرهم نعمه بلفت أنظارهم إلى **تأمل ضدها**، كقوله:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ}.
4. ومن ذلك:عند ميل النفوس أو خوف ميلها إلى ما لا ينبغي، يُذكرها الله ما يفوتها من الخير، وما حصل لها من الضرر بهذا الميل، وهذا في القرآن كثير، وهو من أنفع الأشياء في حصول الاستقامة:
5. قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ }، فهنا لما ذكر فتنة الأموال والأولاد التي مالت بأكثر الخلق عن طريق الاستقامة، قال مذكراً لهم ما يفوتهم إن افتتنوا بها، وما يحصل لهم إن سلموا من فتنتها: { وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }.
6. وقوله تعالى: { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ }.

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات .